Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i2

# تمثلات المقدس في الشعر الفاطمي

أ.د. رائد حميد مجيد البطاط
جامعة ذي قار/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم اللغة العربية/ذي قار/العراق / dr.raid.h@utq.edu.iq
سحر رحيم عودة
جامعة ذي قار/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم اللغة العربية/ذي قار/العراق / SaharRahimOdeh@utq.edu.iq.

**الملخص**

مثَّل الذات الإلهية ذاتاً مطلقة كاملة ، فهي ذات لا يشابهها أي من الذوات الأخرى ، فليس للمخلوق أن يحيط بالخالق ويدرك صفات ذاته بدلالة قوله تعالى : (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا)[طه:110]، فالذات الإلهية منزهة عن العيوب ، كما أنَّها ذات تتميز بالعدل المطلق ونفي الظلم والجور والجهل عنه تعالى ، فالذات الإلهية ذاتاً تامة تتمتع بالقدرة والقوة والعلم التام ، والوجوب والحياة ، وفُطر الإنسان على طبيعة الاستخلاف ، أي أنَّ الله تعالى شرفه وكرمه من بين الكائنات ، فأصبح الكائن المتميز ، وهذه الخلافة تحدث عنها القرآن الكريم في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ) [البقرة:30]، فهذه الخلافة ليست استخلافاً لأدم (عليه السلام) بل هي استخلاف للجنس البشري كله، فالخلافة أمانة عظيمة توكل للبشر، وقد تجسد عند الشعراء الفاطميين فكرة التقديس للخليفة ، إنطلاقاً من الرؤية التي تشكلت في ذهن الشعراء من كون الخلفاء الفاطميون هم من ذرية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولكون الدولة الفاطمية هي دولة شيعية بنيت على أساس العقيدة ، لذلك سعى شعراؤها إلى تقديس الخلفاء ، وقد بلغ بهم الأمر إنزالهم منزل الاله ، والمبالغة في التقديس بوساطة إضفاء الصفات الخاصة بالإله على الخليفة ، فتمتع الخليفة في ظل الدولة الفاطمية بهالة قدسية كبيرة وجاء هذا التقديس انطلاقاً من غاية الشعراء لإرضاء الخلفاء.

**الكلمات المفتاحية : التمثلات ، المقدس ، الذات الإلهية ، الخليفة ، التفويض الإلهي .**

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i2

# Representations of the sacred in Fatimid poetry

Raid Hamid Majeed Al , Battat dr.raid.h@utq.edu.iq
University of Thi-Qar / College of Education for Human Sciences/thigar/Irag/
Sahar Rahim Awda
University of Thi-Qar / College of Education for Human Sciences/thigar/Irag/

**Abstract**

**He represents the divine essence as an absolute and complete entity. It is an entity that is not similar to any of the other entities. It is not possible for a created being to encompass the Creator and comprehend the attributes of his own self in the sense of the Almighty's saying: (And they encompass no knowledge of Him) [Taha: 110]. The divine entity is free of defects, and it is also an entity distinguished by absolute justice and the denial of injustice, injustice and ignorance about Him, the Most High. A complete self endowed with power, strength, and complete knowledge, obligation and life, and man was created according to the nature of succession, meaning that God Almighty honored and honored him among the beings, so he became the distinguished being, and this caliphate was spoken of by the Noble Qur'an in the Almighty's saying: (And when your Lord said to the angels, "Indeed, I will place in the earth Caliph. They said, "Should I place therein someone who will spread corruption therein and shed blood?" This caliphate is not the succession of Adam (peace be upon him), but rather it is the succession of the entire human race. Caliphate is a great trust entrusted to human beings, and the idea of sanctification for the caliph was embodied in the Fatimid poets, based on the vision that was formed in the minds of the poets from the fact that the Fatimid caliphs were descendants of the Prophet (peace and blessings be upon him and his family). Because the Fatimid state was a Shiite state built on the basis of faith, its poets sought to sanctify the caliphs, and they went so far as to place them in the status of a god, and exaggerated the sanctification by bestowing the characteristics of a god on the caliph. Under the Fatimid state, the caliph enjoyed a great aura of sanctity, and this sanctification came based on the goal of the poets to please the caliphs.**

**Keywords: Representations, the sacred, the divine essence, the successor, the divine mandate**

## المقدمة

يحيا الإنسان ويترعرع ضمن نظام اجتماعي وثقافي يسعى جاهداً لكي يجعله متكاملاً ، وهذا النظام يُبنى على قواعد وأساسيات توجب على الإنسان الالتزام بها ، وقد يرتكز هذا النظام على ما هو مُقدَّس ، إذ يمثل المُقدَّس البعد الروحي والطاهر ؛ لأنَّه يرتبط مباشرة بما هو ديني ،(لعرافة نزيهة ، 2019 ، ص159) ، فخضع للمُقدَّس من بداية نشأته فلم ترد في ذهنه تساؤلات عن سبب تقديس شيء دون سواه ، ((أما لإيمان قاطع بوجود إله سماوي يجب إتباع أوامره ونواهيه أو وجود عدة ألهة أو قوى غيبية تفوق قدراته أو أتباعاً للنظام الاجتماعي ، وبالتالي الديني الذي ينتمي إليه ، أو إتباعاً للشعور والوعي الجمعي)) (لعرافة نزيهة ، 2019 ، ص159)، فشكَّل المُقدَّس سلطة معظمة ومُبجلة تمتلك الطهارة والهيبة والوقار ، ولها القدرة على فعل المعجزات ، ترتبط بالدين والآلهة ، لذلك فأنَّ المُقدَّس هو صفة تتبع الموصوف بها سواء كان البشر أم مُقدَّس غير مرئي أو ظاهرة لشعب معين ، أي أنَّه يتصف بالقدسية التي تحمله الكم من المميزات فهو ((صفة مؤهلة تحدد كل ما هو مكرس لعبادة أو ألوهية أو ما يتعلق بأي دين وأسراره ، وليس بالضرورة أن تكون صفة المُقدَّس صفة أبدية أو صفة من بداية الخلق فبعض الأشياء تكتسب صفة القدسية من جراء ارتباطها بالشخصية أو المكان المُقدَّس)) (صالح روان عادل ، 2009 ، ص2205_2206).

فجاءت تمثلات المُقدَّس في الشعر الفاطمي متجسدة في الذات الإلهية المنزهة والكاملة من كل عيب ، وهو القدوس السلام الذي لا شريك له ولا شبيه ، وقد تمثل المُقدَّس أيضاً في تقديس السلطة ؛ إذ يرى الشعراء أنَّ الخلفاء الفاطميين قد نالوا القداسة ؛ بسبب انتمائهم وصلتهم بالرسول (صلى الله عليه وآله) ، وهذه الصلة تمكن الشعراء من إقناع المتلقين بمدى عظمة وقدسية السلطة الحاكمة .

## أوَّلاً : تقديس الذات الإلهية :

تمثل الذات الإلهية الموجود الأبدي والأزلي الذي يتميز بالدوام والبقاء، فالله (عز وجل) هو الجوهر ، يعني بالذات الإلهية ((هو الموجود الحق الذي لا يقبل وجوده العدم ، فهو القديم الذي لا بداية لوجوده ، وهو الباقي الذي لا نهاية لوجوده)) (باديس ، 2006 ، ص18) ، وذلك بدلالة قوله تعالى : ﴿**أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [سورة إبراهيم ، الآية : 10]، فالذات الإلهية مُقدَّسة ومنزهة عن بقية الموجودات ، فهو الغني بذاته عن باقي الموجودات ، وقد اتصفت الذات الإلهية بصفات عديدة منها ((الحياة لقوله تعالى : ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ**﴾ [سورة الفرقان ، اية : 58]، ومن صفاته تعالى القدرة على إيجاد كل ممكن وإعدامه لقوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [سورة البقرة ، الآية : 109]، ومن صفاته تعالى : الإرادة والمشيئة المطلقة في جميع الممكنات فيختص ما شاء بما شاء ، لقوله تعالى : ﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ [سورة البروج ، الآية : 16]، ومن صفاته تعالى العلم الذي تنكشف له جمع المعلومات من الواجبات والجائزات والمستحيلات ، فيعلمها على ما هي عليه من الحالات وتستوي عنده الجليات والخفيات ، لقوله تعالى : ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**﴾ [سورة إبراهيم ، الآية : 38]، ومن صفاته تعالى : السمع الذي تنكشف به جميع المسموعات ، ومن صفاته تعالى : البصر تنكشف به جميع المبصرات لقوله تعالى : ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ**﴾ [سورة المجادلة ، الآية : 1])). (باديس ، 2006 ، ص19_20)

وبناءً على ذلك فقد ارتبط تقديس الذات بالطهارة والعظمة والتنزيه والحرمة ، الذي يؤيد ذلك ما جاء في كتاب الله من وصفه تعالى لذاته بالقدوس ، لذلك تمثلت القداسة الذاتية للخالق (عز وجل) بالقداسة المطلقة ، وهي قداسة مختصة بالباري (عز وجل) لكونه المطلق، أي لا يوجد أي تشابه بينه وبين غيره من المخلوقات ، أي أنَّ قداسة الذات الإلهية ثابتة وغير خاضعة للتغيير (محسن عبد الناصر سلطان سلمان وزين إبراهيم محمد ، 2015 ، ص152_153).

وتعدُّ الذات الإلهية هي المصدر الأوَّل لكل مُقدَّس ؛ لأنَّ الأنبياء تكتسب قدسيتها بصورة اعتبارية ، أما الذات الإلهية فأنَّها مُقدَّسة بذاتها ، فالكون مُقدَّس والإنسان مُقدَّس والمساجد والمعابد مُقدَّسة ، ولكن قدسيتها اعتبارية ، إنَّ الكون مُقدَّس بوصفه مظهراً من مظاهر الله تعالى وكلمة من كلماته ، وآية من آياته البينات ، والإنسان مُقدَّس أيضاً لما ميزه الله به ، إذ جعله خليفة في الأرض وسيداً في الكون ، فالله مُقدَّس لذاته ، أي منزه عن النقائض ، متصف بالكمال ، وهذه أعلى مراتب التقديس ، والكون مُقدَّس بغيره وهو الله ، فالله هو قدوس مُقدَّس لذاته ومُقدَّس لغيره ، فالموجودات والمُقدَّسات حازت قدسيتها بوساطة قداسة الذات الإلهية ومنها كتاب الله ، وكلام الله ، والأنبياء والرسل(محسن عبد الناصر سلطان سلمان ، 2014 ، ص 120_124) ، فقداسة

الذات الإلهية هي ((هبوطاً من الأعلى حيث يضفي المُقدَّس المتعالي قداسته على كتبه ووصاياه ليهبها دوام الحضور وأبدية البقاء)) (مبروك علي ، 2023 ، ص16).

ونجد التقديس للذات الإلهية عند الشاعر أبي العلاء المعري ليكون مصدر قوة في ردّهِ على الملحدين وعلى من يدعي بتعدد المذاهب التي يعتنقها ، فجاءت أبياته في هذا الشأن تحمل دلالة الوحدانية لله وتقديسه ، فنراه يقول : (المعري أبو العلاء ، 2009 ، 234/1 ) :

**إلهنـــــــا اللهُ ، ملـــــــكٌ أولٌ أحـــــــدٌ تطيعُـــــهُ مـــــن صـــــنوفِ النـــــاسِ آحـــــادٌ**

عبَّر المعري عن مدى عظمة الذات الإلهية وقدسيتها ، مشيراً إلى شدة إيمانه بالله (عز وجل) مؤكداً على تلك القدسية بوساطة استدعاء التناص مع سورة الإخلاص في قوله تعالى : ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ**﴾ [سورة الإخلاص ، الآية : 1_2]، نجد المعري يسعى من خلال ذلك إلى إثبات قداسة الذات الإلهية بالإشارة إلى أنَّه (عز وجل) واحدٌ لا شريل له ، وهو الملك الأول الأوحد ، فلا شبيه له ولا مثيل ، دلالة على القداسة المطلقة التي أوجبها تعالى لذاته ، فالمخلوقات طوع أمره ، وهو الذي تقصده جميع البشر لقضاء حاجاتها ، فليس له كفأ ولا نظير ، وطاعته مفروضة على سائر الخلق؛ لأنَّه سبب وجود الكون ، وطاعته واجبة ، فيكون الشاعر قد حقق غايته في تقديس الذات الإلهية وتعظيمها ؛ لأنَّها أحقُّ بهذا التعظيم والتبجيل من سواها .

وللمعري أيضاً في المضمار نفسه ما يؤكد تقديسه لله (عز وجل) وإثبات القدرة والعظمة له ، يقول: [المعري أبو العلاء ، 2009 ، ص278/1)

**تعـــــالى الله كـــــم ملـــــكٍ مهيـــــبٍ تبـــــدلَ بعـــــد قصـــــرٍ ضـــــيقَ لحـــــدِ**

**أقـــــرُّ بـــــأنَّ لـــــي ربَّـــــاً قـــــديراً ولا القـــــــــىَ بدائعـــــــــهُ بِجحـــــــــدِ**

ينطلق المعري من فكرة إثبات علو المنزلة والقدر للذات الإلهية مستدعياً المقارنة لإثبات هذا التعالي ، فهو يرى قداسة قائمة بذاتها ، ولا نسبة لباقي الموجودات فيها ، فعلى الرغم من عظمة الملوك وعزها وهيبتها ، وفخامة القصور التي تسكنها إلا أنَّها زائلة إلى ضيق اللحود ، فلا ملك يدوم ، ولا هيبة تبقى، ثم يؤكد فكرة التقديس بوساطة الإقرار بقدرة الله (عز وجل) ، فهو القادر على كل شيء وليس لغيره قدرة على فعل شيء مختصاً به ، فهو بديع السموات والأرض ، وخالق الإنسان من العدم ، وغيرها من البدائع التي تدلُّ على عظيم قدرته ، وجمال صنيعه ، فليس لدى الشاعر أدنى شك في نكران تلك العظمة والقدرة ، فالذات الإلهية مُقدَّسة ومتعالية ، ولا يتبادر نكران قدسيتها وعظمتها ؛ لأنَّ الدلائل على تلك القدسية والقدرة هي البدائع والقدرة على تسيير شؤون الخلق ، فالشاعر نراه قد أتكأ على المرجعية الدينية متخذاً من النصوص القرآنية ما يؤكد غايته ، فالأبيات فيها إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾ [سورة فاطر ، الآية : 44]، فقدرة الله واسعة لا يمكن إحصائها ولا حتى نكرانها.

وقد لجأ بعض الشعراء إلى تقديس الذات الإلهية ؛ للتأكيد على إيمانهم وتوجههم الديني والعقائدي , وقد وجد هذا التقديس عند الشاعر المؤيد لدين الله من خلال وصفه بأنَّه ليس كما نتصوره لكي ندركه , فليس مما نتخيله , وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى :﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [سورة الأنعام ، الآية : 103], وهو ليس جسما مصورا كي تلاقيه الأبصار , فهو منزه ومعظم عن أن تدركه الأبصار ، وقد جاء في قوله تعالى : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [سورة الشورى ، الآية : 11], فيقول المؤيد في ذلك المعنى: (داعي الدعاة المؤيد في الدين ، 1949 ، ص210)

**ولـــــيس مـــــن جـــــنس العقـــــول الله يـــــا قـــــوم كـــــي تدركـــــه حاشـــــاهُ**

**كمـــــا تعـــــالى أن يكـــــون كالصـــــور مجســـــما كيمـــــا يلاقيـــــه البصـــــر**

ونجد تقديس الذات الإلهية وتنزيهها عند المؤيد لدين الله أيضاً , من خلال تنزيه الله عز وجل عن إطفاء البصيرة ونور العقل , كما أنَّه حاشاه أن يكون قد نشر الجهل والظلال, فقرآنه قد أُويد بالتأويل والحكمة , ودينه زين بما يطابق العقل ولا يتعدى المعقول , فهو الذي ينقذ الأرواح من الظلال الذي تقع فيه بفعل المعاصي , ويخرج الثمار من أوعيتها : (داعي الدعاة المؤيد ، 1949 ، ص 204)

**مـــــا الله بـــــالمطفئ نـــــور العقـــــل كـــــلا ولا الموقـــــد نـــــار الجهـــــلِ**

**تنزيلـــــــــه أُيّـــــــد بالتأويـــــــل وشـــــــرعه زُيـــــــن بـــــــالمعقول**

**يســـــتخلص الأرواح مـــــن ظلامهـــــا ويخـــــرج الثمـــــار مـــــن أكمامهـــــا**

ويكمل المؤيد قوله مؤكدا على قدسيه الخالق وعظمته , بأنَّه ذو حكمة وموعظة , تشفى بها صدور العباد ورحمته وسعت كل شيء , وأحيت القلوب الخائفة , وغرست فيها السكينة والاطمئنان ، يقول:(داعي الدعاة المؤيد ، 1949 ، ص 204)

**وحكمـــــة تشـــــفى الصـــــدور بارعـــــه ورحمـــــة تحيـــــي القلـــــوب واســـــعة**

وفي البيت أيضاً تضمين لقوله تعالى : ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [سورة الأعراف ، الآية : 156].

ومن دلائل قدسية الذات الإلهية وعظمتها وتفردها ، وجود القرآن الكريم (كتاب الله والذكر الحكيم) ، فسبحانه متفرد به ، وأثبت (عز وجل) ذلك في قوله تعالى : ﴿**أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**﴾ [سورة يونس ، الآية : 38]، فالقرآن الكريم هو من معجزات الخالق الذي لا يستطيع أحد من البشر أن يأت بسورة من سوره ، ففيه دلائل الإعجاز ومضامين التقديس والتطهير ، وقد تناول الشاعر المؤيد لدين الله في أبيات له الإشارة إلى مدى قدسية الذات الإلهية المتجسدة في كتابه الكريم ، يقول (داعي الدعاة المؤيد ، 1949 ، ص195):

**يـــــا قـــــوم : قـــــولُ ذا الكتـــــاب فَصـــــلٌ جـــــزلُ المعـــــاني لـــــيس فيـــــه هَـــــزلُ**

**ففكـــــروا فـــــي (التـــــين والزيتـــــون) واســـــتكثفوا عـــــن ســـــرهِ المكنـــــون**

**ولـــــم أتـــــى مـــــن ربنـــــا بـــــه القســـــم كمـــــا أتـــــى بـــــالنون أيضـــــاً والقلـــــمْ**

**والفجـــــر أيضـــــاً وليـــــالٍ عَشـــــرِ والشـــــفعِ يحـــــذو حـــــذوها والـــــوتر**

**ومثـــــل هـــــذا فـــــي الكتـــــاب عِـــــدّه بجـــــده ذا كثـــــرة مـــــن عـــــدّه**

الأبيات تحمل دلالة الدعوة إلى التفكر والإيمان بعظمة القرآن الكريم ؛ لأنَّه يحمل قداسة الذات الإلهية وتفردها من خلاله ، فهو معجزة الله سبحانه لرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) ، فالشاعر يفتتح الأبيات بالنداء الجمعي المطلق ، إذ لم يقتصر النداء على جماعة دون سواها ، بل جاء موجهاً للناس كافة ، مشيراً إلى التمعن بالقرآن الكريم ، فأقواله جزلة المعاني فقليلها يحمل دلالة الكثير ، بدليل قول المؤيد : ((إنَّ القرآن الكريم هو النور الحقيقي الأبدي المستضاء به حيث لا تضيء شمس ولا قمر ولا نجوم ، وإنَّ جميع هذه الأنوار المحسوسة الواقعة تحت العين مجاز لتصرمها وانقضائها وزوال سلطانها ، ونور القرآن تحقيق وتأييد وخلود ويشع نوره على جميع العالم لا بلفظه بل بمعناه فهو معجز للعربي والأعجمي من المسلمين وغير المسلمين)) (داعي الدعاة المؤيد ، 1949 ، ص100).

فالشاعر المؤيد يشير إلى عظمة الله وقدرته بوساطة الطلب في التفكر بالآيات ، والبحث عن سرها المكنون ، فالتين والزيتون ، والتين كناية عن آدم (عليه السلام) ، والزيتون كناية عن نوح (عليه السلام) ، والنون والقلم هي دلالة على المبدع الأول وهو الله (عز وجل) ، والفجر وليال عشر والشفع والوتر ، ظاهرها أسماء سور إلا أنَّها تشير إلى النبي الأكرم والإمام علي والحسن والحسين (عليهم السلام) ، و(التين) كناية عن الحسن (عليه السلام) ، والزيتون كناية عن الحسين (عليه السلام (المجلسي محمد باقر ، 1992 ، 107/24) أما المؤيد فيرى أنَّ الفجر هو الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) (داعي الدعاة المؤيد ، 1949، 124)، ثم يختم النص أنَّ مثل هذه الدلالة كثيرة في القرآن الكريم إذا أراد أحد إحصائها ، فكل ذلك يدلُّ على مدى قدسية الله (عز وجل) وعظمته ، فهو المتفرد بهذا الكتاب والقادر المقتدر والمبدع والقدوس .

كما قدَّس الشاعر تميم بن المعز الذات الإلهية , معبراً عن دهشته من غفلة الناس عمَّا بعد الممات يقول(الفاطمي معز الدين ، 1996 ، 83) :

**يـــا عجبـــاً للنـــاس كيـــف اغتـــدوا ... فـــي غفلـــةٍ عمّـــا وراء الممـــات**

**مـــن شـــك فـــي الله فـــذاك الـــذي ... أُصـــيب فـــي تميـــزه بالشـــتات**

**يُحـــيهمُ بعـــد البلـــى مثـــل مـــا ... أخـــرجهم مـــن عـــدمٍ للحيـــاة**

من خلال النص نلاحظ أنَّ الشاعر قد عبر عن استغرابه واندهاشه من غفلة الناس , وجهلهم لما بعد الممات , ثم يوكد على أنَّ من كان مشككاً بعظمة الله وقدرته فقد اصبح كمن فقد عقله فلا يميز بين الأمور مشتت الذهن لا يستقر على أمر بعينه , ولا يميز الحق من الباطل , ويأتي الشاعر في البيت الثالث بالبرهان على عظمة وقدسيته الخالق ؛ وذلك من خلال تأكيد قوله بالإشارة إلى النص القرآني الذي يثبت قدرته عز وجل في إحياء الموتى, وخلق البشر من العدم , قال تعالى : ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [سورة البقرة ، الآية : 28], فالشاعر قد أثبت فكرة التقديس من خلال قدرته عز وجل على إحياء الموتى , وخلق الإنسان من العدم , وهذه المقدرة لا يستطيع أحد من الخلق أن يمتلكها , فهي خاصة بالباري عز وجل , كما نجد تقديس للذات الإلهية عند الشاعر إسامة بن منقذ ببيتين من الشعر يبين فيهما عظمة الله وقدرته , إذ يقول(منقذ أسامة ، 1983 ، ص330) :

**تبـــارك اســـمك , كـــم مـــن آيـــة شـــهدت ... بانـــك الواحـــد المســـتعلي الصـــمد**

**مـــا يصـــبغ الأســـود الغربيـــب غيـــرك ... مُبيضـــاً , ولا يتعـــاطى صـــبغه احـــد**

يعضد الشاعر تقديسه للذات الإلهية , بتعالي اسمه عز وجل, مؤكداً على كثرة الآيات التي شهدت على تقديسه , وتمجيده , مستعملا حرف التأكيد (أنَّ) , والكاف تعود على الله عز وجل , معدداً صفاته التي ينفرد بها فهو (الواحد – المستعلي – الصمد) , وفيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰه وَٰحِد لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [سورة البقرة ، الآية : 163], مشيرا إلى تقدسيه وتفرده بالإلهية فهو واحد لا إله غيره , فالشاعر استند في تقديسه للذات الإلهية على صفاته الجليلة التي وردت وشهد بها كتابه العزيز ، إذ يقول عز وجل : ﴿**ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ**﴾ [سورة الإخلاص ، الآية :2], فاراد الشاعر أن يبلغ في الذات الإلهية أعلى درجات التقديس , فجاء بلفظة الصمد ؛ ليؤكد تلك القدسية التي اختص بها عز وجل , بأنَّه كامل الصفات في الشرف والعظمة , ثم يبين بأنَّ القدرة على خلق الإنسان وتحديد جنسه ولونه , هي من صفاته عز وجل فلا يستطيع أحد أن يفعل ذلك , أراد الشاعر هنا التأكيد على تفرده بالخلق وشؤون الخلق .

ومن معاني التقديس للذات الإلهية ما وجدناه عند الشاعر أمية بن عبد العزيز الداني عندما أشرف على الموت , وهو يحاول إقناع النفس وتهوين التصور الذي يتجلى في مخيلته من هول العقاب , فنراه يهون ذلك التصور من خلال معرفته لنهاية المصير , فنراه يقول(الداني أمية بن عب العزيز ، 1979،ص87):

**ســـكنتك يـــا دار الفنـــاء مصـــدقا ... بـــاني إلـــى دار البقـــاء أصـــيرُ**

**واعظـــم مـــا فـــي الأمـــر انـــي صـــائرٌ ... إلـــى عـــادل فـــي الحكـــم لـــيس يجـــورُ**

**فيـــا ليـــت شـــعري كيـــف القـــاه بعـــدها ... وزادي قليـــل والـــذنوب كثيُـــر**

**وأن يـــك عفـــو – ثـــم – عنـــى ورحمـــةٌ ... فـــثم نعـــيم دائـــر وســـرور**

ابتداء الشاعر أبياته بذم الدنيا واصفاً لها بدار الفناء , فهي فانية لا بقاء لها , موجه اللوم لنفسه باعتقاده بأنَّ العيش والتلذذ يقود إلى دار البقاء , ثم يحاول الشاعر تهدئة نفسه والتقليل من لوم النفس , من خلال التصور بأنَّ مرجع الأمور إلى حاكم عادل لا يظلم عنده أحداً , فهو في هذا البيت اضفى معنى القداسة على الذات الإلهية , وأشار إلى العظمة والتنزيه للباري عز وجل , فالشاعر أراد التنبيه إلى لطف الخالق , رغم معرفته بكثرة ذنوبه , فهو يقف متحيرًا في وصف شعوره في لقاء الباري رغم كثرة ذنوبه , وقلة حسناته , إلا أنَّه يثق برحمته الله وغفرانه , فبعد المشقة والعناء نعيما وسرورا .

يتبين لنا ممَّا تقدم أنَّ الهدف الأساس الذي بنى عليه الشعراء الفاطميون نصوصهم هو تقديس الذات الإلهية ، والتأكيد على كمالها ؛ لكونها ذات متفردة لا يماثلها أو يشابهها شيء من الذوات الأخرى ، فالذات الإلهية تحمل صفات لا يمكن للبشر إحصائها أو إدراكها ، فهو عز وجل منّزه ومعظّم ومُقدَّس عن بقية الخلق ، له القدرة المطلقة ، والعلم الكامل ، والوجوب والحياة ، والوحدانية والتفرد ، فالشعراء أثبتوا قدسية الذات الإلهية انطلاقاً من مبدأ الإيمان وتأكيداً على مبادئ العقيدة .

## ثانياً : تقديس الخليفة في الشعر الفاطمي :

الخليفة هو السلطان أو الإمام , وقد وضعت الخلافة في الأصل ؛ لكون الشخص خلفا لغيره وعليه سُمي من يخلف الرسول محمد (صلى الله عليه واله) خليفة عليه ، عرفت الخلافة على ((أنَّها رياسة أمور الدين والدنيا نيابة عن رسول الله , وأنَّ منزلة الخليفة من الأمة منزلة رسول الله من المؤمنين , له عليهم الولاية العامة , والطاعة التامة , وله حق القيام على دينهم , فيقيم فيه حدودهم , وينفذ شرائعه , وله حق القيام على شؤون دنياهم أيضا , بيده زمام الأمة , فكل ولاية مستمدة منه , وكل خطة دينية أو دنيوية متفرعة عن منصبه , فهو الحاكم الزمني وهو الحاكم الروحي)) ( الخربو طلي علي حسني ، 1969 ، ص29).

فالخلافة قيدت بقوانين دينية يسير بها الخليفة امته ويحمل الناس على أحكامها بالنيابة عن النبي , وعليه فقد اشتملت الخلافة على الإمامة , واطلق على الخليفة تسمية الإمام تشبيها بإمام الصلاة في الاتباع والاقتداء به (زيدان جرجي ، 2012 ، 123/1)، فقد سعى الفقهاء إلى إيجاد أصلا في القرآن الكريم للخلافة ؛ لأنَّه يمثل القانون الديني والمدني , وهو دستور الدولة العربية الإسلامية ( الخربو طلي علي حسني ، 1969 ، ص30_31) .

وقد تضمن القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية التي عبرت عن الخلافة بعبارات ليس فيها تحديد أو تخصيص , ومنها قوله تعالى : ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ**﴾[سورة النور ، الآية 55].

كما استعملت كلمة (خليفة) بمعنى ضيق عندما وبخ الله تعالى قوم عاد بسبب كفرهم برسالة نبي الله هود (عليه السلام), إذ قال عز وجل: ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.[سورة الأعراف ، الآية 69].

فبعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) , قامت الدولة الأموية واتسم حكمهم بالعصبية القبلية , ممَّا أدى إلى اتساع دائرة الخلاف بين المسلمين على الحكم , فنتج عن ذلك الخلاف حزب وفرق متنوعة (كـالحزب الأموي , والشيعة , والخوارج , والمرجئة , والزبيريون) , وسعى معاوية بعد أن استقر له الأمر , وأصبحت الخلافة لهم , فلم يسمح بخروجها من بيت بني أمية , فأصبحت الخلافة وراثية , وفي ولده يزيد على وجه التحديد (النوتي زكريا عبدالمجيد ، 1992 ، ص 11_12) .

وبناءً على ذلك أصبح الشعر لساناً يعبر عن مقاصد كل حزب , وكان بنوا أمية يحفظون الشعر وينتقدون الشعراء , فكانوا يجزون المجيد , وينتقدون المسيء , فعمد خلفاء بني أمية إلى اجتذاب الشعراء وتحبيبهم بهم , عن طريق إغداق الأموال والعطايا , والهدايا , واودعوا لهم الأرزاق في بيت المال , واكرموهم , وأشاعوا بينهم روح المنافسة عن طريق إغداق الأموال في محاولة منهم لجعل أشعارهم مقتصره على الخلفاء الأمويين دون غيرهم (نجيب احمد, 2008 ، ص34_44) مما دفع الشعراء إلى استرضائهم خوفا من قطع العطاء .

فكان تقديس الخلفاء في العصر الأموي لغاية التكسب من قبل بعض الشعراء ؛ لأنَّ بني أمية استمالوا الشعراء لدعمهم وتقوية حزبهم عن طريق إغداق الأموال عليهم , فشعراء المديح أو الشعر السياسي , كان دافعهم الأول من المديح والإعلاء من شان خلفاء بني أمية وتقديسهم لنيل العطاء والحصول على المال , فكانوا يستجدون بذلك المدح أما طلبا للعطاء أو خوفاً من بطش الأمويين , فلم يكن تقديس الخليفة في العصر الأموي لغرض عقائدي أو ديني , بل كانت الغاية منه نيل العطاء أو الخوف من غضبه (زيدان جرجي ، 2012 ، ص283_292).

وقد صوَّر شعراء العصر الأموي الخليفة الأموي تصويراً قائماً على الفضيلة الدينية مدعيا إلى أنَّ الحكم والدين ارتبط بالخلفاء والولاة ارتباطا وثيقا , فتحدثوا عن عدلهم وتقواهم , وأنَّهم يقيمون العدالة بين الرعية , ومن خلال الصراع الذي نشب بين الأمويين والخوارج والشيعة حول اختيار الحاكم من المسلمين.

فسعى الشعراء إلى تمجيد بني أمية ورسم إطار ديني لهم , والغاية التي يلجأ لها الشعراء واضحة تماماً من ذلك التقديس , وهو لغرض التكسب ولم يكن الخليفة يتمتع بالعدل والحكمة الذي يدعونه (ضيف شوقي ، 1993 ، ص178

أمَّا العصر العباسي فكان عصر ازدهار وانتقال من البداوة إلى الحضارة , ومن شظف العيش إلى الرخاء والرفاهية , فكثر الذهب وسكنوا القصور , وكان ذلك الثراء سببا في إقبال الشعراء على الخلفاء والوزراء من اجل الحصول على المكاسب والعطايا (زيدان جرجي ، 2012 ، ص 423) ، فكان الخلفاء العباسيون في مدة نفوذ الدولة العباسية عربا تجري في عروقهم دم العروبة , وقد رأوا في الشعر مجدهم التليد وموضع فخرهم , فحرصوا على الاهتمام بروايته , والعمل على إحيائه , وقد لجأوا إلى تقريب الشعراء منهم لغرض الحصول على المدح الجيد والثناء العظيم , بوساطة الصلات والعطايا, مما أدى بالشعراء إلى تجاوز آمالهم للتكسب بالشعر لغاية الثراء واختزان المال , إذ استغنى الكثير من الشعراء واصبحوا أصحاب نفوذ , وكان معظم الشعراء هم من يحدوون مقدار الجائزة , فعاش الشعراء حياة مترفة في العصر العباسي , مما انعكس هذا بدوره على الشعر , فاصبح الشعراء يبالغون في مدح الخلفاء العباسيين ويقدسونهم , فوصل بهم الحال إلى حد المبالغة المفرطة لغرض التملق ونيل العطاء , فصورا الخلفاء العباسيون بأنَّهم الأولياء والأمناء ، وإنَّ الخلافة لهم وبهم قد نهضت .

ولم تكن غاية الشعراء تقديس الخلفاء كونهم ولاة أمر , ولم تكن معانيهم في التقديس تعبر عن حقيقة الواقع المعيش ((زيدان جرجي ، 2012 ، ص 430), فجاءت معانيهم في التقديس لغاية التقرب من الخلفاء .

أمَّا العصر الفاطمي فقد قال الشعراء بعصمة الخلفاء وبعدهم عن الخطأ والزلل , وهم عالمون بأحكام الشرع فلا يحتاجون إلى غيرهم , واستعانوا بالقران والسنة وبالأئمة الأطهار للتأكيد على ما يؤيد مذهبهم وعقيدتهم ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ [سورة يونس ، الآية 35]ليكون دليلا وحجة على ما اعتقدوا به وذهبوا إليه.

وقد عبَّر شعراء العصر الفاطمي من خلال أشعارهم عن فكرة تقديس الخلفاء , لإثبات انتمائهم للرسول (صلى الله عليه واله) وآل البيت الأطهار (عليهم السلام) على نحو ما نجده في أشعارهم التي جسدت هذه الفكرة , إذ شكلت نصوصهم الشعرية رمزية القداسة الإلهية التي تمثلت بخليفة المسلمين , وهذه الفكرة سعى إليها الشعراء الفاطميون الملازمون للخليفة المعبرون عن أفكار الخلافة وتطلعاتها , إذ لا تخلوا قصائدهم وبالخصوص المدحية من تلك الفكرة المُقدَّسة المتمثلة بالقرابة للرسول الكريم (صلى الله عليه واله) التي تدلُّ على الخطاب المُقدَّس لشخص الخليفة ، إذ استدعى الشاعر الفاطمي لغة المدح للتعبير عن العلاقة القائمة بين الشاعر من جهة وبين الخليفة من جهة أخرى ؛ لأنَّ مسمى الخليفة مرتبط بالفكر الديني , فهو خليفة المسلمين , فالخلفية الفاطمي يستمد منصبة في الخلافة من السلطة الإلهية ، وإنَّ الخلفاء الفاطميين هم خلفاء ارتبطت خلافتهم بالجانب الديني , هو تكليف الهي استند في ذلك على قوله تعالى : ﴿**يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ**﴾ [سورة ص ، الآية 26], وقد جسَّد الشعر الفاطمي الجانب الديني والعقائدي , إذ اهتم الشعراء به وأحاطوه بعناية فائقة ؛ لأنَّ الدولة الفاطمية قد أخذت من مذهب التشيع أساسا لها ؛ لذلك ركَّز الشعراء على الجانب العقائدي في تقديس الخلفاء الفاطميين وإبراز الجانب الديني لديهم , إذ أولوا الخليفة عناية خاصة واهتمام خاصا ؛ وذلك لكونه بحسب وجه نظرهم معصوم , وإنَّ الإمامة قد اختيرت له (البطوش إبراهيم عبد الكريم ، 2018 ، ص115).

وقد وظَّف الشاعر تميم بن المعز* غرض المديح لأجل تقديس أخيه العزيز , إذ اضفى عليه صفات إلهية وقدسية , إذ يقول(الفاطمي لدين الله ، 1996 ، ص9):

**ومنـــــا الإمـــــام العزيـــــز الـــــذي ... بـــــه ســـــيف الهـــــدى منتضـــــى**
**ســـــعى للشـــــام وقـــــد أصـــــبحت ... بهـــــا الحـــــرب نزاعـــــة للشـــــوى**

استعان الشاعر بغرض الفخر , لغرض خلق مرتبة قدسية لأخيه العزيز , وذلك بوساطة وصفه بالإمام , إذ إنَّ الإمامة هي من أهم العقائد لدى الفاطميين , فهي أصلاً من أصول الدين ولم تكن فرعا منه , كما يعتقد الفاطميون أنَّ الخلفاء هم الأئمة الذين

يوضـحون للنـاس مـا اشـكل عليهم ؛ لأنَّهم ورثـة الأنبيـاء ؛ أي أنَّ صـفات الأنبيـاء جمعت فيهم , وبهم يتقرب الرعيـة إلـى الله , فطاعتهم واجبة ؛ لأنَّهم قائمون على حماية الدين (حجازي عبد الرحمن ، 2005 ، ص102).

إذ افتخر الشاعر بكون العزيز منهم ؛ لأنَّه يرى بأنَّه قد أعاد الحق والعدل من جديد , وقد ارفد أبياته بالنص القرآني , ليضع المتلقي أمام حقيقية بأنَّ الخلفاء الفاطميين هم أئمة مُقدَّسون , ثم انتقل الشاعر من غرض الفخر إلى غرض المديح , إذ وصف سعيه للشام من أجل محاربة الأعداء , إذ سعى الشاعر لرفد ذلك الوصف بالاقتباس المباشر من القرآن الكريم في قوله :

**سـعى للشـام وقـد أصـبحت بهـا الحـرب نزاعـة للشـوى**

وهو اقتباس من قوله تعالى : ﴿**نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى**﴾ [سورة المعارج ، الآية 1: 16], فهو بهذا الاقتباس القرآني الذي وظَّفه أراد مدح أخيه , وبيان مدى قوته عند قدومه إلى الشام , وفي ذلك التوظيف القرآني دلالة على شدة الحرب ومدى فتك العزيز بالأعداء , وقد لجأ الشعراء الفاطميين في تقديسهم للخلفاء إلى أن يسلكوا طرق عديدة , فقد يكون التقديس من جانب الإعجاب أو التعظيم أو من جانب التفويض الإلهي .

إذ عرفت نظرية التفويض الإلهي منذ أقدم العصور , فهي نظرية مضى على وجودها زمن طويل وهي فكرة تعود إلى ثلاثة من أشهر الفلاسفة الإغريق وهم : (سقراط , أفلاطون, وأرسطو) , فسقراط ربط بين السياسية والمعرفة فهو قد انتقد ((الديمقراطية الاثينية التي كانت تفترض أنَّ أي إنسان يصلح لشغل أي منصب)) (خضير سحر عباس ، 2006 ، 163) , أي أنَّه يرى أنَّ الشخص الذي يتولى أي منصب لابدَّ أن يكون ذا مواصفات ومؤهلات ليتسنم ذلك المنصب , وليس أي شخص كان , أمَّا أفلاطون فقصر الحكم في الفلاسفة من العلماء المستنيرين , ويدعو إلى عدم الحد والزام الحاكم بأحكام القانون , لأنَّه ((الوحيد الذي يعرف طريق الخير والعدالة)) (خضير سحر عباس ، 2006 ، 163) ، أمَّا أرسطو فيرى أنَّ الدولة العادلة عنده يقوم أساسها الاجتماعي على ((وجود طبقة متوسطة وقوية وحيثما وجدت هذه الطبقة من المواطنين كانت جماعة لها من اتساع صفوفها ما يكفل للدولة الارتكاز على أساس شعبي ولها من التحرر عن الهوى)) (خضير سحر عباس ، 2006 ، ص 164), وقد تطورت هذه النظرية على يد الفيلسوفين (نيقولو مكيا فيللي(1469 – 1527) , وجان بودان (1530 -1596).

إذ تقوم نظرية التفويض الإلهي لديهم على ركنين أساسين هما : ((سيادة القانون وموافقة الرعية)) ((خضير سحر عباس ، 2006 ،ص 164), ولكون نظرية التفويض الإلهي ترى أنَّ أصل الحكم يقوم على الدين , فهي تكون على ثلاثة أنواع (الفتلاوي صباح كريم رباح ، 2008 ، ص100):

1_ نظرية الطبيعة الإلهية للحاكم :

التي يرى فيها الحاكم نفسه أنَّه جاء من الطبيعة الإلهية , أو يدعي لنفسه الربوبية أو الألوهية , أمثال فرعون والنمرود .

2_ نظرية الحق الإلهي المباشر والتفويض الإلهي :

ترى هذه النظرية أنَّ الخليفة أو الحاكم يستمد حكمه من السلطة الإلهية , ويحظى بالعناية الإلهية , ولم يكن للإنسان تدخل في تنصيبه .

3_ نظرية الحق الإلهي غير المباشر أو العناية الإلهية :

أساس هذه النظرية يقوم على أنَّ السلطة من قبل الإله , لكن الحاكم يتمُّ اختياره من قبل الشعب عن طريق توجيهه من قبل الآلهة, وظهرت هذه النظرية في العصور المسيحية الوسطى , دعا إليها كبار الكنيسة للحد من طغيان الأباطرة , إذ إنَّ الولاء لشخص الحاكم الاعتقاد قد بلغ ذروته في نظرية الحق الإلهي , إذ إنَّ اختيار شخص واحد يحكم الناس , وقد خصه الله بتلك الصفة يحتم على الآخرين طاعته والانصياع لأوامره بدون قيد أو شرط (الفتلاوي صباح كريم رباح ، 2008 ، ص101) ، ويرى الدكتور سعد عبود سمار في بحثه التفويض الإلهي لملوك الدولة الساسانية أنَّ ((معتقد الارتقاء بالسلطة إلى القدسية وجعلها هبة إلهية في ايران القديمة , استمدوه من المناطق المجاورة لهم , فهو معتقد رافديني بامتياز , وله جنبة سياسية – دينية؛ إذ ليس بمقدورنا القول : إنَّه معتقد آريّ , لأنَّه لا نملك دليلا أو شاهدا يوكد أنَّ المهاجرين الآريين قد جاءوا بهذا المعتقد (التفويض الإلهي) )) (سمار سعد عبود ، 2022 ، ص17).

ومما لاشك فيه فأنَّ زمن الرسول (صلى الله عليه واله) كان فيه الحكم قائما على التفويض الإلهي , إذ إنَّ اختيار الرسول (صلى الله عليه واله ) , كان من قبل الله عز وجل , ومما يوكد ذلك قوله عز وجل : ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ**﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : 107]، فالأنبياء والرسل والأئمة , يكون اختيارهم من قبل الله عز وجل , ويكون ذلك الاختيار خالصا ليس للإنسان دخل فيه , فيكون النبي والأئمة سادة ورسل وخلفاء للمسلمين , من قبل العدل الإلهي , فهم مؤيدون بتأييد الله عز وجل .

والقرآن الكريم خير دليل على هذا التفويض الإلهي وقد اكدنا ذلك بالآية السابقة , فهم يحكمون بأمر الله تعالى, وإنَّه عز وجل هو من فوضهم للقيام بشؤون المسلمين , ومبدأ التفويض الإلهي كان له دور في نظام الحكم الأموي , فقد سعى الأمويون إلى تبنيه والاهتمام به , لغرض فرض سلطانهم على أهل الشام , مما أدى إلى ترسيخه وتصديقه , لا ثبات التدخل الإلهي في اختيار سلطان الأمويين , مما أدى بالأمويين إلى أن يجعلوا ذكر هذا المبدأ عادة لا يمكن نكرانها .

ومما يؤكد ذلك ما فعله مروان بن الحكم , حينما بعث تهنئة للوليد بن يزيد , إذ أشار فيها إلى التدخل الإلهي في اختياره للحكم , إذ قال : ((وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى البسه اكرم لباس الخلافة بوثائق عرى كرامته ....)) (حازم مصطفى سالم ، 2022 ، ص305).

وقد لجأ بعض الأمويين إلى تأكيد هذه النظرية , بالاستناد إلى القرآن الكريم , إذ اعتقدوا أنَّ اختيار الخليفة ما هو إلا أمر إلهي , يكون له عز وجل دور في مساله التكليف للخلافة (حازم مصطفى سالم ، 2022 ، ص305).,ومن تلك النصوص , قوله تعالى : ﴿**وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾ [سورة البقرة ، الآية : 251] .

أما النظام العباسي في الحكم , فلم يكن قائما على التفويض الإلهي , بل لجأ العباسيون إلى الحيلة والخداع , أو العنف والقوة لفرض سلطانهم , إذ لجأوا إلى الدعاية في توطيد حكمهم ومحاولة الادعاء بالقرب من آل محمد (صلى الله عليه واله) , إذ نظمت دعوتها باسم الرضى من آل محمد , لغرض إسقاط الدولة الأموية والوصل إلى دفة الحكم , فحاولوا أن يكسبوا خلافتهم بشي من الشرعية , لغرض إضفاء الجانب الديني , للحصول على تأييد المسلمين فادعوا القرابة من آل محمد ؛ لتدعيم ركائز حكمهم (العبادي أحمد مختار ، 1996 ، ص17_20)، إذ إنَّ حكمهم أصبح حكم بالسيف والقوة , وليس للحكمة والشرع والدين أي دور في ذلك .

أمَّا فيما يتعلق بالدولة الفاطمية فأنَّها كانت دولة لها سياستها الخاصة , إذ عرف عن المجتمع المصري بأنَّه من جمهور أهل السنة , وكان نظامه السياسي قائما على نظام الخلافة , إلا أنَّ الفاطميين أسسوا سلطانهم على أساس الأمانة , وادعو لنفسهم القرابة من آل محمد (صلى الله عليه واله) ، فالفاطميون أرادوا أن يثبتوا للمجتمع المصري بأنَّهم أئمة تمَّ اختيارهم من قبل الله عز وجل , انطلاقا من مبدا التفويض الإلهي , فحاولوا أن يخلقوا لأنفسهم جوا قدسيا من خلال ما ادعوه لأنفسهم من كونهم أئمة من نسل البيت الطاهر , فالخليفة الفاطمي أراد أن يظهر للناس بأنَّه ديني وليس خليفة سياسي(بدوي جمال ، 2004 ، ص12_13)، وعليه فقد عمدت الدولة الفاطمية إلى تأسيس مذهب يختلف عن مذهب أهل السنة في مصر , وهو المذهب الشيعي , فالخلافة الفاطمية هي خلافة وراثية ودينية يرى فيها الخلفاء الفاطميون أنَّ أساسها هو العلم الإلهي الذي ورثه الفاطميون عن النبي والإمام علي (عليه السلام) ، وكذلك يعتقد الفاطميون بأنَّ الخلافة انتقلت لهم عن طريق الوصية بوصف الفاطميين ورثة لوصية الإمام علي (عليه السلام) في الإمامة فبحسب ذلك يرى الشعراء الفاطميون بأنَّ الخلفاء الفاطميين هم أئمة , فهم معصومون من الزلل والخطأ , وهذا يشير إلى نظرية التفويض الإلهي , فانزال الخليفة منزلة الإمام أو الوصي , يعني إضفاء صفة القداسة التي يحتلها النبي أو الإمام (العبادي أحمد مختار ، 1996 ، ص263) , وهو تفويض إلهي وكله الله للنبي (صلى الله عليه واله) وأهل بيته الأطهار , فهم أئمة الخلق وساداتهم , ولغرض أن يثبت الفاطميون صفة التفويض الإلهي لأنفسهم لجأوا إلى الادعاء بانتسابهم لأهل البيت (عليهم السلام), فهم يدعون بأنَّهم ورثة علم القرآن الكريم ظاهره وباطنه .

فقد عمد الشعراء إلى توظيف تلك النظرية (التفويض الإلهي) في أشعارهم , وقد تجلت في صورة الممدوح (العزيز بالله) الخليفة الفاطمي , إذ تجلت هذه الصورة في إطار ديني مُقدَّس , مستمدا هذا التصور من الرجوع إلى العقيدة الإسماعيلية التي عدت فيها الوصية للأمام علي (عليه السلام) (حسن أحمد سيد ، 2020 ، ص 26) ، مجسدا قدسية العزيز .

إذ نجد الشاعر تميم قد وظف نظرية التفويض الإلهي مستدعيا غرض المديح لإثبات ذلك , إذ يقول : (الفاطمي لدين الله ، 1996 ، ص 12)

**فيـــا بـــن الوصـــي ويـــا بـــن البتـــول ويـــا بـــن نبـــي الهـــدى المصـــطفى**

**ويـــا بـــن المشـــاعر والمـــروتين ويـــا بـــن الحطـــيم ويـــا بـــن الصـــفا**

**لـــك الشـــرف الهاشـــمي الـــذي يقصـــر عنـــه عـــلا مـــن عـــلا**

**فلـــو فاخرتـــك جميـــع الملـــوك لكـــانوا الظـــلام وكنـــت الســـنا**

نجد أنَّ الشاعر من خلال النص أكد على إثبات صفة القداسة لأخيه العزيز . من خلال التأكيد على إبراز الصفات القدسية وإضفاءها على الممدوح , فهو قد اردف نصه بالمصطلحات الشيعية مستندا في ذلك على العقيدة والانتماء للبيت الفاطمي , لأنَّه أحد أبناء الخلفاء فهو ابن بيئته , وينطوي تحت ذلك التأكيد على التقديس للخليفة ، فالشاعر لجأ إلى تدعيم نصه بوساطة تكرار النداءات التي وردت في البيت الأول والثاني ؛ وذلك لغرض تنبيه المتلقي إلى مقدار مكانة العزيز ومدى صلته بآل البيت ؛ لتخصيص الخطاب وتحديده بذات الخليفة فناداه : بـ (ابن الوصي , وابن البتول , وابن النبي المصطفى)، فأتى الشاعر بالمصطلحات الشيعية , ليثبت أنَّ الخليفة ليس شخصا عاديا , بل هو إمام ووصي من نسل العترة الطاهرة , واختياره لهذا المنزلة كان من قبل التفويض الإلهي , فهم يرون بأنفسهم أئمة وأوصياء من بعد النبي , إذ إنَّ مرتبة الوصايا أقل من مرتبة النبوة وأعلى من مرتبة الإمامة , فضلاً عن ذلك فالشاعر يصف العزيز بأنَّه (ابن المشاعر – والمورتين – وابن الحطيم – وابن الصفا) , فاستدعى المعاني الباطنية , فالتأويل الباطني لمناسك الحج هي محمد (صلى الله عليه واله) ولكون الرؤية لدى الفاطميين بأنَّهم يقومون مقام النبي , فهم يتصفون بصفاته , فالشاعر أراد بذلك إضفاء صفه القداسة والتأكيد على الانتماء لآل البيت (عليهم السلام) .

فالشاعر عمد إلى تدعيم نصه وتوثيقه بإيراد الأماكن المُقدَّسة ، ومناسك الحج ، ليثبت القدسية للخليفة، وكثيراً ما يستدعي الشعراء النسب العلوي , ليضفي على شخصية الخليفة القداسة التي يتمتع بها آل البيت (عليهم السلام)، وليثبت للمتلقي حقيقة تلك الصلة ، فهو يستدعي النسب الهاشمي الذي لا يصله أي شخص مهما علت مكانته، وذاع صيته ، فقد اقتصر النسب الهاشمي فيهم ، فالشاعر استدعى غرض الفخر بالنسب الهاشمي ؛ لأنَّه يرى في هذا النسب مفاخرة وشرف له ولآبائه , وفي البيت الأخير نجد الشاعر يؤكد على مكانة العزيز بعدّه رمزا شيعياً مُقدَّساً ، لذلك نجد أنَّهم يتفاخرون بنسبة أنفسهم لآل البيت ، إذ يقول:

**فلـــو فاخرتـــك جميـــع الملـــوك لكـــانوا الظـــلام وكنـــت الســـنا**

فمن خلال البيت نلاحظ أنَّ الشاعر تميم قد استعمل المفارقة ؛ ليؤكد على منزلة العزيز، فجاء بدلائل بصرية بوساطة اللفظين (الظلام , السنا) فهو يرى فيه الهادي والمرشد الذي يضيء طريق الرشاد ، ويرى في بقية الملوك الظلام الذي ليس فيه نور ليرشد الناس , فاستدعى المفارقة ليؤكد على أنَّ العزيز هو رمز شيعي مُقدَّس عند الفاطميين، ولم يكتفِ الشاعر تميم بتلك الأوصاف القدسية , فنراه يقدس أخاه بصفات ذات معاني باطنية , بوساطة استدعاء صفات الأئمة ، والشعراء الفاطميون أشاروا في أشعارهم إلى نظرية المثل والممثول في إيراد المعاني الباطنية والتي تعني ((تفسير الأمور العقلية غير المحسوسة بما يقابلها ويماثلها من الأمور الجثمانية المحسوسة)) (داعي الدعاة المؤيد ، 1949 ، ص 106_107).

ويشير المؤيد لدين الله إلى أنَّه أخذ هذا المسمى من قول الفاطميين ((إنَّ الله جعل لهم مثلا دالا على ممثوله فعرفوا الممثول بمثله)) (داعي الدعاة المؤيد ، 1949 ، ص 107), وهذه النظرية (المثل والممثول) في تطبيق الصفات القدسية التي اختص بها النبي والأئمة على الخلفاء , لغرض إعلاء قيمة الخليفة , ومحاولة جعل المتلقي على يقين بان الخليفة هو شخص اختاره الله لتلك المنزلة .

فتميم كان ابن بيئته , وشعره كان مرآة صادقة لعصره فهو ابن الإمام فنراه في أشعاره يقدس آباءه والخلفاء الفاطميين , محاولا إثبات فكرة التفويض الإلهي في اختيارهم فيضفي على الخلفاء الصفات التي وصف بها النبي (صلى الله عليه واله) وأهل بيته ويحاول استدعاءها في تقديسه لأخيه وخلفاء البيت الفاطمي فيقول في تقديس أخيه العزيز بصفات قائمة على التأويل وإثبات التفويض الإلهي للخليفة ؛ إذ يقول:(الفاطمي لدين الله ، 1996 ، ص344)

يـــا حجـــة الرحمـــان عنـــد عبـــاده وشـــهابَه فـــي كـــلِ أمـــرٍ مُشـــكل
مـــن لـــم يكـــن فـــي صـــومه متقربـــا بـــك للإلـــه فصـــومُه لـــم يُقبـــل
فســـلمتَ للإســـلام تحمـــي شـــرعَهُ بالمشـــرفية* والرمـــاح الـــذبل
يـــامن بفضـــل زمانـــه وطباعـــهِ شـــهدت بـــراهينُ الكتـــاب المنـــزلِ

فالشاعر يصف الخليفة بأنَّه حجة الرحمن مؤكدا على أنَّه حجة الله على العباد , وهذا التأكيد أن دلَّ على شيء فيدلُّ على غاية الشاعر في إثبات التفويض الإلهي في اختيار الخلفاء الفاطميين , فهذا المعنى (حجة الرحمن) هو معنى باطني واحد صفات الأئمة , فهم حجج الله على العباد , كما يصفه بالشهاب الذي يضيء ما أشكل على الناس ، ويوضح ما غمض عليهم , وتزداد مبالغة الشاعر في إسناد الاختيار الإلهي للخلفاء الفاطميين من خلال البيت الثاني الذي يؤكد فيه على أنَّ صوم أي شخص لا يقبل منه ما لم يتقرب بك إلى الله , وفيه إشارة إلى ((عقيدة الفاطميين التي تقول : إنَّ فرائض الدين الإسلامي لا تقبل إلا بإتباع المنصوص عليه من أهل البيت , فلا صيام لصائم ما لم يعتقد ولاية الأئمة ؛ لأنَّ الولاية – كما قلنا – هي محور عقيدة الفاطميين)) (محمد هاشم عاشور ، 2023 ، ص166)، ويحاول الشاعر أن يضع المتلقي أمام حقيقة لا مفر منها بوساطة تأكيده على أنَّ براهين القرآن الكريم قد شهدت بفضل العزيز وطباعه فالشاعر أكد تلك المكانة القدسية عندما جعل القرآن الكريم شاهدا على فضل وطباع العزيز, فالمعنى الظاهر أنَّ القرآن الكريم يشهد على فضائل الأئمة الأطهار من أهل بيت محمد (صلى الله عليه واله) , فالشاعر استدعى هذا الوصف ليجعل المتلقي واثقا من أنَّ الخلفاء الفاطميين هم من نسل العترة الطاهرة ؛ وذلك من خلال جعل القرآن شاهداً على أفعالهم وأفضالهم .

فالنصوص الشعرية التي تناولت تقديس الخلفاء , قد شكّلت رمزية للتفويض الإلهي , وهذه الوجهة قد اتجه إليها معظم الشعراء الفاطميين ممن كان على علاقة وثيقة بالسلطة سواء كان عن طريق القرابة كالشاعر تميم بن العز , أم عن طريق الإعجاب كالمؤيد لدين الله وابن هاني , فكانوا من الشعراء الذين وظفوا المعاني والمصطلحات الدينية لإثبات تلك المكانة المُقدَّسة بوساطة التأكيد على مدى صلتهم بالنبي وأهل بيته (محمد هاشم عاشور ، 2023 ، ص166), وتأويل الصفات القدسية التي اختص بها النبي واهل بيته على أنَّها في الباطن تخص الخلفاء الفاطميين بناءً على ما وضعه الفاطميون لأنفسهم من مدى قربهم وصلتهم بأهل البيت , فهم يحكموا بالدين أكثر من حكمهم بالسياسة , وهو تفويض إلهي فعلى الرعية طاعتهم وعدم عصيان أوامرهم .

ومن الشعراء الذين جسَّدوا من خلال أشعارهم فكرة التفويض الإلهي للخلفاء الفاطميين, والتأكيد على الجانب العقائدي والمذهبي ، إذ نجد أنَّ الشاعر المؤيد في الدين الشيرازي ، قد جسّد من خلال أشعاره وجوب طاعة الخليفة، إذ يرى أن طاعته فرض من الله ، وهو بهذا الادعاء أكد على أنَّ الخليفة (الإمام) أُختير لهذه المكانة بأمر من الله ,إذ يقول : (داعي الدعاة المؤيد ، 1949 ، ص205)

وهـــم أولـــو الأمـــر أئمـــة الهـــدى عصـــمة مـــن لاذ بهـــم مـــن الـــردى
مفروضـــة طـــاعتهم علـــى الأمـــم قاطبـــة مـــن عـــرب ومـــن عجـــم
اقـــرأ : أطيعـــوا الله والرســـولا ثـــم أولـــي الأمـــر بهـــم موصـــولا
ثـــلاث طاعـــات غـــدت معلومـــة فـــي آيـــة واحـــدة منظومـــة
مـــن قـــال فـــي واحـــدة تقييـــد فإنـــه لربـــه عنيـــد
إنمـــا الطاعـــة للأطهـــار آل النبـــي الصـــفوة الأبـــرار

فالشاعر يرى في الأئمة الفاطميين بأنَّهم أولو الأمر ، وأئمة الهدى وهذه المسميات قد اختص بها الرسول وأهل بيته ، إلا أنَّ الشعراء الفاطميين قد اسبغوا هذه الصفات على الخلفاء الفاطميين لغرض تقديسهم وإعلاء منزلتهم، والتأكيد على عقيدتهم ، فهو يرى فيهم الخلفاء الذين اختارهم الله لحماية البشر، إذ يراهم عصمة ووقاية لمن يلوذ بهم من المصائب، وطاعتهم مفروضة وليست اختياراً ، فنلاحظ في البيت الثاني مبالغة في فرض الطاعة، والذي يؤكد تلك المبالغة أنَّ الشاعر يوجه الخطاب بالطلب

في الرجوع إلى القرآن الكريم الذي أوجب طاعة الله والرسول وأولي الأمر؛ إذ إنَّ الشاعر أراد إثبات تلك المكانة لهم لقطع الشك لدى المتلقي بأنَّ طاعتهم مفروضة ونص عليها كتاب الله , إذ اقتبس هذا المعنى من قوله تعالى : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ**﴾ [سورة النساء ، الآية 59]، فالطاعات الثلاث واضحة، وترك واحدة منها يُعد عصياناً لله ، وقد نصت عليها الآية المذكورة، ويزيد في ذلك التأكيد بأن الطاعة لهم فهم الأئمة الأطهار و هم من آل النبي , وصفهم بالصفوة الأبرار، وأراد بذلك أن يؤكد بأنَّ الله اصطفاهم كما اصطفى الرسل والأئمة الأطهار ، فمن خلال الأبيات نلاحظ المبالغة الشديدة في التقديس في شعر المؤيد الذي كان نابعاً من عقيدة وإيمان ، بأنَّ الخلفاء هم أوصياء الرسول والأئمة من بعده, وعليه نجد أنَّ الشعراء الفاطميين أعطوا مكانة مُقدَّسة للخلفاء ، جسَّدت من خلالها صفة القداسة التي وظفوها للسلطة، إذ إنَّ من يمتلك السلطة في نظرهم يتمتع بمنزلة دينية ترتبط بجوانب عديدة ، ومن هذه الجوانب وأهمها منزلة النسب، الذي وظَّفه الشعراء الفاطميون في أشعارهم بأنَّهم من نسل العترة الطاهرة (ابن النبي، ابن الوصي، ابن فاطمة) ، فضلاً عن جانب التفويض الإلهي من خلال وصف الخلفاء بصفات وصف بها النبي وأهل بيته ، إلا أنَّ الشعراء الفاطميين قد اكسوا الخلفاء بتلك الصفات (كحجة الله ، عين الله ، باب الله، حجة الرحمن) ؛ لغرض إثبات صفة القداسة والتعظيم الذي يتمتع به الخلفاء الفاطميون، ولإبعاد الشك الذي يراود أعداءهم المشككين في ذلك الانتماء، كما أنَّ الشعراء أرادوا التأكيد على العقيدة الفاطمية من خلال الشعر بوصفه أداة السلطة الإعلامية ؛ لأنَّ الفاطميين اتخذوا من العقيدة الشيعية ذريعة لحكمهم وبسط نفوذهم ، فالشعراء أرادوا إثبات شرعية الحكم للخليفة مستندين على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في ذلك الإثبات.

ويستمر الشعراء في العصر الفاطمي في تقديس الخلفاء والأمراء من خلال توظيف غرض المديح لهذا التقديس والتمجيد فنجد الشاعر ابن قلاقس يقول(ابن قلاقس ،1905 ، 4):

**كعبة المجد التي من زارها ... بات في أمن حمام الحرم**

**قبلة الدين الذي يأتمها ... عندما ينزل عيسى مريم**

**حجة الله التي حج بها ... خلقه من كافر أو مسلم**

**يا أماما خضع الدهر له ... فأطاعته رقاب الأمم**

نلاحظ أنَّ الشاعر ابن قلاقس قد رسم صورة تمتاز بالتقديس والتمجيد والتعظيم للخليفة, وذلك بوساطة ما البسه إياه من الصفات القدسية التي تشير إلى الإعجاب والتفويض الإلهي بوساطة إيراده للألفاظ : (الكعبة المجد , قبلة الدين ,عيسى بن مريم , حجة الله), فهذه الألفاظ تدلُّ على مدى إعجاب الشاعر بالخليفة ومدى عظم مكانته عنده فنلاحظ أنَّ الشاعر طرح فكرته التقديسية بوساطة وصف الخليفة بالكعبة , وهي أعظم الأماكن المُقدَّسة، ووصفه بكعبة المجد التي يامن فيها حمام الحرم ، فالخليفة لديه بمنزلة الكعبة ، فهو منبع الكرم والأمان الذي يشعر من زاره كأنما هو في مأمن كحمام الحرم ، ثم نجد الشاعر قد يبالغ في ذلك التقديس من خلال وصفه للخليفة، بأنَّه قبلة الدين كقبلة الصلاة، ويرى بأنَّه بمنزلة المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) الذي يتبعه النصارى والمسلمين في آخر الزمان ، ففي ذلك إشارة دينية إلى قصة المسيح (عليه السلام) في آخر الزمان، ثم يسترسل في ذلك التقديس ويعبر عن التفويض الإلهي للخليفة من خلال إيراد لفظة (حجة الله) وهي مفردة تطلق على الأئمة والأنبياء بوصفهم حجج الله على العباد، فأراد الشاعر بذلك إعلاء مكانة الخليفة بوصفه الحجة التي يقصدها الخلق من مختلف الأديان (الكافر, المسلم) بلا استثناء, وفي ذلك دلالة على عدل الخليفة والمساواة بين الخلق وهي من صفات الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، ثم يختم الأبيات بوساطة الإشارة إليه بأنَّه الإمام الذي خضع إليه الدهر (الزمان) وخضع له كل شيء ، فأدى ذلك إلى الطاعة من قبل جميع الأمم (العرب وغير العرب)، فنلاحظ الشاعر قد طرح فكرة التقديس بدرجة عالية من المبالغة من خلال إضفاء الصفات الإلهية على الخليفة ووصفه بصفات الأنبياء والأئمة الأطهار .

يستمر الشعراء في تقديس الخلفاء والملوك والوزراء ، وذلك من خلال تشبيههم بالشمس، وفي ذلك التشبيه إشارات إسطورية ، فهي تكشف عن معنى آخر للوجود، فهي في حركة دائمة ، تبقى كما هي دون أن يحصل فيها تغيير فأنَّ ((تجليات القداسة الشمسية تترجم عن قيم دينية هي قيم الاستقلال الذاتي والقوة والسيادة والذكاء)) ( الياد مرسيا ، 2009 ، ص185)، فالشاعر من خلال تشبيهه الخليفة بالشمس قد اعتمد على المرجعيات الثقافية ؛ ((لأنَّ صورة الخليفة في المخيال الجاهلي لم تكن نتاج مهارات فنية، تتعكز على الجمع بين المتشابهات كآلية تصوير استعاري فقط ، بل كانت تنهل من مرجعيات ثقافية)) (عبد الوهاب عبد الجليل عايش ، 2015 ، ص 109)، ويرى مريسيا الياد بأنَّ ((لطائفة كبرى من الأساطير البطولية بنية شمسية .

البطل يشبه بال (شمس) ، وهو مثلها يكافح الظلام . إنه ينحدر إلى مملكة (الموت) ويخرج منتصراً . شأنه في الأساطير القمرية ، طرازاً من الوجود الإلهي ، بل أنَّه يرمز إلى كل ما ليس بإله)) ( الياد مرسيا ، 2009 ، ص186) .

وعليه نرى ابن الخياط قد استعمل ذلك المعنى وعقد مقارنة بين الشمس والقمر في تقديس الخليفة, وكذلك قرن بعض أبناء الرؤساء وجعل منزلتهم بمنزلة الشمس والقمر في قوله : (ابن الخياط ، 1985 ، ص280)

**يـــا أيهـــا الـــنجم مـــا وفيتـــه لقبـــاً ... وأنـــت بـــدر ومنـــك البـــدر يعتـــذر**

**أخـــوك شـــمس علـــى الأيـــام طالعـــة ... فكيـــف ينكـــر خلـــق أنـــك القمـــر**

فهو مدح اقترن بالتقديس بوساطة وصف الخليفة بأنَّه شمس دائمة الظهور وتقديس الآخر بأنَّه قمر، فقد قدَّس الشاعر ممدوحيه من خلال الاعتماد على المرجعية الثقافية له , وهو استعارة لفظة الشمس للدلالة على القداسة الدينية .

وفي الجانب نفسه نجد الشاعر ابن هاني الأندلسي يمدح المعز لدين الله ويقدسه في الكثير من قصائده التي أثبت بها عقيدته , فهو يرى بأن المعز هو الذي انقذه من حيرته وضلاله ومعه قد وجد الإيمان الذي انقذه من الغي والضلال ، إذ يقول (علي زاهد ، 1994 ، ص101):

**مـــا أجـــزل الله ذخـــري قبـــل رؤيتـــه ... ولا انتفعـــت بإيمـــان وتوحيـــد**

**هـــادي رشـــاد وبرهـــان وموعظـــة ... وبينـــات و توفيـــق و تســـديد**

فالشاعر يبين بأنَّ المعز هو مصدر الهداية وهو المرشد ، فهو يبين بأنَّه عند معرفته المعز عرف الإيمان الحق بعد إن كان في ظلال وتيه ، لم يعرف الإيمان والعقيدة ، فضلاً عن كون المعز كان بالنسبة للشاعر هو مصدر الإيمان والرشاد والتوقيف.

ويستمر ابن هانئ في تقديس المعز وتمجيده ، إذ نجده يقول : (زاهد علي ، 1994 ، ص18)

**هـــو علـــة الـــدنيا ومـــن خلقـــت لـــه ... ولعلـــة مـــا كانـــت الأشـــياء**

**مـــن صـــفو مـــاء الـــوحي وهـــو ... مجاجـــه مـــن حوضـــه الينبـــوع وهـــو شـــفاء**

**مـــن أيكـــة الفـــردوس حيـــث تفتقـــت ... ثمراتهـــا وتفيـــا الأفيـــاء**

**مـــن شـــعلة القـــبس التـــي عرضـــت علـــى ... موســـى وقـــد حـــارت بـــه الظلمـــاء**

**مـــن معـــدن التقـــديس وهـــو ســـلالة ... مـــن جـــوهر الملكـــوت وهـــو ضـــياء**

نجد الشاعر قد قدس المعز ووصفه بصفات إلهية، مما يؤكد على المكانة المُقدَّسة التي أولاها له، إذ نجد أنَّ الشاعر بالغ في التقديس بوساطة ما أورده من ألفاظ يصيرها بما يخدم توجهه العقائدي :

صفوة ماء الوحي / أيكة الفردوس / وهو شفاء.

شعلة القبس / عرضت على موسى

معدن التقديس / جوهر الملكوت، وهو ضياء .

فالضمير (هو) يعود على الخليفة المعز ، فهو سبب خلق الدنيا، وهو قد خلق من صفو ماء الوحي ، فالصفو هو النقاء الذي لم يشوبه أي زلل، ويؤكد الشاعر أنَّ الذي يشرب من مائه يشفى ، أي أنَّه مصدر شفاء، فهو يرى أنَّ المعز مخلوق من طينة تختلف عن طينة البشر ، وهو اعظم وأكمل المخلوقات في الأرض جامع للفضائل والمكارم والخيرات، ويشبهه بأيكة الفردوس والإيكة الشجر الكثيفة والفردوس الجنة التي تعدُّ أقدس وأعظم الأماكن، كما عده ظل يستظل به ، وأكد الشاعر على قدسية الخليفة من خلال تشبيهه بنبي الله موسى (عليه السلام) ، عند ما رأى النار وقال إني ذاهبٌ لآتي بقس أو أجد عليها هدى ، فهو بالنسبة له شخص بلغ أعلى درجات التقديس ؛ لأنَّه يرى أنَّ المعز شخص منتخب من الله ، وتحل فيه أرواح الأنبياء، بل يحل فيه الله تعالى ، وفي ذلك مبالغة شديدة ، فهو بحسب رأيه الذات المُقدَّسة .

فنجد الشاعر من خلال تلك الألفاظ التي استمدها من ثروته الثقافية ليصل بالخليفة إلى درجة التعظيم والتأليه ، وأرفد ذلك بدلائل من القرآن الكريم وبقصة النبي موسى (عليه السلام).

ويرى ابن هانئ إن المعز هو سبب من أسباب الوقاية والنجاة في الدنيا والأخرة ، إذ يقول : (زاهد علي ، 1994 ، ص281)

**لـــو لـــم تكـــن ســـبب النجـــاة لأهلهـــا  لـــــم يعـــــن إيمـــــان العبـــــاد فتـــــيلا**

**لـــــو لـــــم تعرفنـــــا بـــــذات نفوســـــنا  كانـــــــت لـــــــدينا عالمـــــــا مجهـــــــولا**

فالشاعر من خلال البيتين السابقين يؤكد على قدسية الخليفة , إذ وصلت المبالغات لديه بأن جعل أنَّ إيمان الناس غير منجي لهم من عقاب الآخرة ، متصوراً أنَّ الخليفة هو سبب لنجاتهم، فهو يرى أنَّ تقديس الإمام (الخليفة) وتمجيده وتقديسه مع وجوب شكره وطاعته فهو يعتقد بأنَّ تمجيد الخليفة ومدحه واجب ديني ، كالصوم والصلاة (نجم منير عبيد ، 2015 ، ص 131) , ويقول الشاعر مصوراً تلك العقيدة : (زاهد علي ، 1994 ، ص406)

**فرضـــــان مـــــن صـــــوم وشـــــكر خليفـــــة  هـــــــذا بهـــــــذا عنـــــــدنا مقـــــــرون**

**لـــــك حمـــــدنا لا أنـــــه لـــــك مفخـــــر  مـــــا قـــــدرك المنشـــــور والمـــــوزون**

فالشاعر يصور بأنَّ العقيدة الشيعية تستوجب من صاحبها تقديس الخليفة وتعظيمه وإجلال قدره مع وجوب الطاعة والشكر له .

## الخاتمة :

توصلت النصوص التي تناولها الشعراء في إظهار التقديس للذات الإلهية بأنَّها ذات متفردة في كمالها ، لا يناظرها شبيه أو مثيل ، لأنَّها تحمل صفاتاً لا وجود لها عند الذوات الأخرى ، فهي ذات كاملة في الوجود .

تكشف لنا النصوص المتقدمة أنَّ الشعراء الفاطميين قد سعوا إلى تقديس الخلفاء ، من أجل التأكيد على قدسية الخلفاء الفاطميين في محاولة منهم لإعلاء مكانه الخليفة، وإحاطته بهالة من القداسة مع التأكيد على جانب الانتماء للنبي وآله ( عليهم السلام) ، فوظَّف الشعراء الدلالات التي تشير إلى تقديس الخلفاء في نصوصهم ، لكونهم يرون فيهم خلفاء الله في الأرض أو لأنَّهم أصحاب قرار ديني أو سياسي ، فيقدسون الخلفاء الفاطميين لغايات شخصية أو عقائدية ، وهذا التقديس أما إن يكون لغاية تكسبية لينالوا العطايا، وإما أن يكون لإبراز الجانب العقائدي عند الشعراء.

كما نجد أنَّ الشعراء حاولوا التأكيد على مسألة التفويض الإلهي ، وإثبات الاختيار والاصطفاء الإلهي للخلفاء من قبل الله ، بدلالة النصوص الشعرية التي تؤيد ذلك الاختيار.

## المصادر والمراجع.

_ القرآن الكريم .

ابن الخياط ، 1985 ، ديوان ابن الخياط ، تحقيق : خليل مردم بك ، المطبعة الهاشمية.

ابن قلاقس ، ١٩٠٥م ، ديوان ابن قلاقس، تحقيق : خليل مطران ، مطبعة الجوانب .

باديس عبد الحميد ، 2006، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، الجزائر.

بدوي جمال ، 2004 م , الفاطمية دولة التفاريح والتباريح ، القاهرة, دار الشروق, ط1.

البطوش إبراهيم عبدالكريم , 2018 م , الشاعر والسلطة , المملكة الأردنية, دار المأمون, ط1.

حجازي عبدالرحمن , 2005 ، الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي , القاهرة, دراسة أسلوبية , المجلس الأعلى للثقافة, ط1.

الخربو طلي علي حسني, 1969 , الإسلام والخلافة ، لبنان ، ، دار بيروت للطباعة.

داعي الدعاة المؤيد ، ١٩٤٩ ، ديوان المؤيد في الدين ، القاهرة ، تحقيق : محمد كامل حسين ، دار الكاتب المصري ، ط1 .

الداني ، أمية بن عبد العزيز، 1979 ، ديوان أمية بن عبد العزيز الداني ، تونس ، تحقيق : محمد المرزوقي ، دار بوسلامة.

زيدان جرجي , 2012 , تاريخ آداب اللغة العربية , مصر, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

زيدان جرجي , 2012, تاريخ التمدن الإسلامي , مصر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

ضيف شوقي, 1993 ، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي , مصر – القاهرة, دار المعارف.

العبادي أحمد مختار ، 1996 ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، بيروت, دار النهضة.

علي زاهد ، 1994 ، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ ، مصر ، تحقيق ، مطبعة المعارف.

الفاطمي معز الدين ، 1996 ، ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، بيروت – لبنان ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي التجار، ومحمد كامل حسين ، دار المنتظر ، ط1 .

مبروك علي ، 2023، ما وراء تأسيس الأصول مساهمة في نزع أقنعة التقديس ، مؤسسة هنداوي .

المجلسي محمد باقر ، 1992 ، لبنان ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، دار إحياء التراث ، بيروت ، (د.ط).

المعري أبو العلاء ، 2009 ، اللزوميات ، مصر ، تحقيق : أمين عبد العزيز الخانجي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .

منقذ بن إسامة ، 1983 م ، ديوان إسامة بن منقذ , تحقيق د. احمد أحمد بدوي , حامد عبدالمجيد , عالم الكتب –بيروت , ط2 .

النوتي زكريا عبدالمجيد, 1992 م , الأدب الأموي تاريخه وقضاياه , مطبعة الحسين الإسلامية , ط1.

الياد مرسيا ، ٢٠٠٩، المُقدَّس والعادي ترجمة عادل العوا ، دار التنوير.

**_ الرسائل والأطاريح :**

عاشور محمد هاشم ، 2023 ، المُقدَّس والمُدنَّس في الشعر العباسي (من ١٣٢هـ إلى٣٠٠هـ) دراسة ثقافية الشعراء المجان أنموذجاً ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، أطروحة دكتوراه.

**البحوث :**

حازم مصطفى سالم, 2022 ، نظرية التفويض الإلهي واثرها في تدعيم الحكم الأموي , مجلة آداب البصرة , (بحث) , العدد 101, أيلول.

حسن احمد سيد , 2020, الأنساق الثقافية في قصيدة المديح عند تميم بن المعز , مجلة كلية التربية (بحث)، جامعة عين شمس , العدد 26.

خضير سحر عباس, 2006 ., نظرية التفويض الإلهي انتقاداتها وتطبيقاتها دراسة تاريخية موجزة ، جامعة ديالى ، كلية التربية , (بحث) , مجلة الفتح , العدد 26

سمار سعد عبود , 2022, التفويض الإلهي لملوك الدولة الساسانية (226 /227) في ضوء المعطيات التاريخية والإثارية , جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية (بحث).

صالح روان عادل ، 2009 ، تمثلات المُقدَّس في المسلسل التلفزيوني المعاصر ، العراق ، (بحث) ، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، مجلة مداد الآداب ، العدد (36) .

الفتلاوي صباح كريم رباح ، 2008, نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي دراسة مقارنة , مركز دارسات الكوفة , جامعة الكوفة , (بحث) , العدد (10).

لعرافة نزيهة ، 2019، المُقدَّس والمُدنَّس في رواية (نزهة الخاطر) لأمين الزاوي دراسة سيميائية ثقافية ، الجزائر ، (بحث) ، جامعة باتنة (1) ، المجلة الدولية للدراسات الأدبية والنفسية ، العدد(2) .

محسن عبد الناصر سلطان ، 2014 ، المفهوم الوجودي للمُقدَّس والمُدنَّس في الإسلام (دراسة تحليلية)، ، (بحث) ، كلية الدراسات الإسلامية ، كلية السلطان أزلان شاه الإسلامية ، ماليزيا ، العدد (117).

محسن عبد الناصر سلطان سلمان وزين إبراهيم محمد ، ٢٠١٥، مفهوم المُقدَّس والمُدنَّس عند ميرسيا الياد دراسة تحليلية نقدية مقارنة ، الكلية الجامعة ماليزيا، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد (٧٩).

نجم منير عبيد ،٢٠١٥ ، الأساليب البديعية في شعر ابن هاني الأندلسي ، جامعة بابل، كلية التربية الأساسية ، (بحث) ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد /٢٠ نيسان .

نجيب احمد, 2008, اختلاف الشعر بين العصر الأموي والعصر العباسي الأول (دراسة تاريخية مقارنة) ، مالانج, الجامعة الإسلامية.